اللااجتماعي في الخلق الفردي عند رسل

The Solitary in Individual moral at *Russell*

نوال طه ياسين*

قسم الفلسفة – جامعة البصرة – العراق

nawaltaha84@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/09/07 تاريخ القبول : 2020/12/01 تاريخ النشر: 2020/12/31

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة موقف رسل من الأخلاق بشكل عام، والأخلاق اللااجتماعية بشكل خاص، من خلال مناقشة الأسئلة الآتية: كيف نظر رسل إلى الأخلاق؟ وهل اللاجتماعي مفهوم فلسفي؟ وما حضور اللاجتماعي في الأخلاق بشكل عام وعند رسل بشكل خاص؟ وما علاقة الأخلاق باللغة عند رسل؟ سعت هذه الدراسة إلى فهم نصوص رسل الفلسفية وبخاصة النصوص التي تطرق في ثناياها إلى موضوعات أخلاقية والتعامل معها ومع الإسقاطات الخارجية، مثل: علاقتها بالواقع الاجتماعي، وارتباطاتها الأيديولوجية. وهنا يبرز دور اللااجتماعي الذي يكون بمثابة الزعيم الفكري الذي يأخذ على عاتقه مسؤولية بناء الذات الإنسانية. وقد حدد رسل مظاهر اللااجتماعي بالفرد بشكل مركز، ذلك إن الفرد هو المحور الذي تدور حوله فلسفته سعياً منه للخروج به من دائرة التمثيل، وهي دائرة المؤسسات التي تسعى الدولة من خلالها السيطرة على الفرد، لتكون الصورة التي تراها الدولة في صورة الفرد، إلا أن

* المؤلف المراسل

رسل كان يسير باتجاه معاكس، إذ سعى إلى تذويت الفرد ليؤكد على جاهزيته ما يجعله مركزاً للعا لم .

الكلمات المفاتيح: رسل، اللاجتماعي، الأخلاق

Abstract:

The research aims to study Russell's position on morality and solitary ethics in particular. The research included a discussion of the following questions: How did Russell view ethics? Is the solitary a philosophical concept? What is the solitary in morals and when Russell in particular? What is the relationship between morals and language when messengers? Russell noted that the problem of societies is the growing strength of the material and technical aspects, and that raised his moral question. This study sought to understand the philosophical texts of Russell, especially the texts that dealt with ethical issues, And its relationship to social reality, and its ideological links. The solitary role appears, who acts as the intellectual leader who takes upon himself the responsibility of building the human self, It should be noted that this solitary tendency does not make a person feel alone because he is not isolated from the world and reality, In this temporary isolation, silent dialogue with the self becomes audible until it transcends into society .

keywords: Rusell, Solitary, Ethics

المقدمة :–

على غرار ما أنتجه أغلب الفلاسفة من أنساق فلسفية خلال الحقب الماضية من رؤى فلسفية، كان رسل بوصفه فيلسوفاً تحليلياً لغوياً، قد سعى في بداياته الفلسفية وحتى في نهاياتها إلى صب تلك الرؤى، التي بدت على درجة عالية من الدقة والوضوح، لكن اللافت في فلسفته أنها قد شهدت تحولاً أو انعطافاً فكرياً، فمساره الفلسفي قد تحول من فلسفة اللغة إلى ملحقات الفلسفة الأخرى، وكان من بينها موضوع الأخلاق .

إن مسألة الأخلاق عند رسل، قد ناقشها القلة من الباحثين في محاولة للكشف عن مسار السؤال الفلسفي لديه، ففي الوقت الذي دأب على اثبات حضوره في المنعطف اللغوي الذي بات يعرف به، أعرض وغاب–ولكن لبرهة من الوقت– عن العناية

بملحقات الفلسفة الأخرى. ومن بين غياب رسل عن المشهد الأخلاقي الفلسفي غاب السؤال الآتي: كيف نظر رسل إلى الأخلاق في الواقع الحياتي الملموس أزاء القضايا الأخلاقية سواء أكانت عابرة أم حاسمة بعين عقلانية واقعية ونقدية؟ هذا من جانب. ومن جانب آخر من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن اسلوب معالجته لقضايا، مثل القضايا الأخلاقية لم يبق على وتيرة واحدة، إذ تهيأ له في بعض الأحيان إمكانية تفاعل مبادئه مع الأفراد والمجتمع، وللأسف في أحيان كثيرة، قد الزمت المبادئ الفلسفية بعض الفلاسفة عزلتهم عن الواقع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مفهوم الأخلاق بما يحويه من قيم ومثل يختلف مجال تأثيره باختلاف المجتمعات والأفراد، إذ إن هناك من يحصر الأخلاق وفاعليتها بالاحتكاك الاجتماعي وليس هذا وحسب، بل يعد ذلك مصدراً من مصادر تولد القيم ذاتها، بينما هناك من يعتقد العكس من ذلك فكما أن الاجتماعية تعد مصدراً من مصادر القيم، فإن اللااجتماعية بمعناها الفلسفي الإيجابي هي مصدر ابداع القيم على المستوى الأخلاقي، وهذا كان بحد ذاته دافعاً لبحث هذه الزاوية من تفكير بعض الفلاسفة بصورة عامة وعند رسل بصورة خاصة .

ورب معترض يقول هل اللااجتماعي مفهوم فلسفي؟ وهل كان لهذا المفهوم حضوراً في فلسفة رسل، أو في الفلسفات السابقة عليه؟ إن هذين السؤالين قد مثلا مشكلة البحث، وأثارا مشكلة أخرى، وهي من هو اللااجتماعي؟ وما الدور الملقى على عاتقه لمواجهة هيمنة السلطة؟ وربما هذا الحديث يثير دهشة كل من اعتاد على قراءة فلسفة رسل بوصفه فيلسوفاً ذرياً منطقياً -هذا على حد تعبير رسل-، ولكن لا غرابة في ذلك فالواقع وتداعياته قد فرض وجوده على تفكيره، فبعدما كان يهدف إلى إنتاج لغة مثالية، وأدرك عدم إمكانية تحقيقها، راح يبحث عن مجتمع أفضل إلا أنه ليس مثالياً، وهذا يعني إن اللغة هي من جعلته ينتهي إلى هذه النتيجة، والسؤال الذي يطرح الآن كيف بالإمكان تحديد موقف رسل من الأخلاق من منظور لغوي؟ من منطلق أنه كان في

بداية كتاباته الفلسفية فيلسوفاً رياضياً ولغوياً، وما الذي دفعه إلى البحث في الأخلاق؟ وهذه الأسئلة من جملة ما يسعى البحث للإجابة عنها .

إن السبب في إثارة السؤال الأخلاقي لإهتمام رسل ما لاحظه من أن مشكلة المجتمعات تتجسد في تنامي قوة الجوانب المادية والتقنية وكل ذلك على حساب القيم الأخلاقية، وهنا تصل المجتمعات إلى لحظة التفكك والتدهور، وفي ذلك آية على الضعف الأخلاقي فيها، وهذا ما دفعه إلى التساؤل، من المسؤول عن انتاج المبادئ الأخلاقية، بدءاً من مرحلة تكوّنها وتشكّلها حتى لحظة تحولها؟ وفي كل مرحلة من هذه المراحل تساهم في تكوين رأسمال أخلاقي جديد وهو عبارة عن تراكم مجموعة من القيم الأخلاقية المشتركة تساعد الأفراد على التكيف والتآزر والتعامل بعضهم مع البعض الآخر، وهنا يبرز دور اللااجتماعي الذي يكون بمثابة الزعيم الفكري الذي يأخذ على عاتقه مسؤولية بناء الذات الإنسانية، ولذلك كان رسل ضد أولئك الفلاسفة الذين يفكرون ويكتبون ويشرعون مبادئهم الأخلاقية وكأنهم يقفون خارج الحياة البشرية ومشكلاتها، وكأنهم أيضاً لا يدركون الطبيعة البشرية وما تحويه من قطبي العقل والانفعال.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه النزعة اللااجتماعية لا تجعل الإنسان يشعر بالوحدة لأنه ليس منعزلاً عن العالم والواقع، ففي فكره التأملي يتحرر من ربقة الأفكار المحيطة به وتسمح له بالعودة إلى الذات فيصبو إلى التناغم والانسجام مع ذاته أولاً، ومن ثم مع العالم الخارجي، ففي هذا الاعتزال المؤقت يصبح الحوار الصامت مع الذات مسموعاً حتى يتعدى إلى المجتمع .

ومن هذا المنطلق سعت هذه الدراسة إلى فهم نصوص رسل الفلسفية وبخاصة النصوص التي تطرق في ثناياها إلى موضوعات أخلاقية والتعامل معها ومع الإسقاطات الخارجية، مثل علاقتها بالواقع الاجتماعي، وارتباطاتها الأيديولوجية، وهي منهجية تعمل، وبصرامة، على تناول النص بوصفه نتاجاً غير مستقل عن تلك الاسقاطات. وهنا لم تبدو مسألة الاخلاق كما لو كانت موضوعاً فلسفياً بحتاً وحسب. بل تم تناولها من

منظور تداولي، بوصفها فعلاً اجتماعياً، إذ إن هناك مشكلات فلسفية، واجتماعية، ونفسية، وحتى جمالية، وبيولوجية في هذا الموضوع .

منهجياً، تمثل القراءة واحدة من أهم صور الممارسة الفلسفية، والقراءة الفلسفية هي شيء مضاد للقراءة العادية، فالأخيرة تؤول في نهاية الأمر إلى مجرد الشرح والتعليق، معتبرة أن هدفها هو بلوغ ما قيل وإدراك ما تم إثباته والتدليل عليه، فهي مجرد شرح للنص تحاول أن تنفذ إلى أعماقه لإدراك الحقيقة التي يحملها، أما القراءة الفلسفية، التي قصد الباحث أن يوظفها لدراسة هذا الموضوع فإنها تسعى الى التقاط المعنى، وتصنع من القارئ شريكاً في إنتاج النص الفلسفي، فهو ليس مجرد قارئ مستهلك له، إنما يتحول إلى منتج للنص يشارك في عملية صياغته ولو بطريقة ثانوية، والقراءة الجديدة لنصوص رسل هي القراءة الثانية التي تنحو إلى تتبع ما في تلك النصوص من أماكن يظهر فيها نصاً جديداً، إنها قراءة تبحث فيما لم يقله بصورة مباشرة، لذلك وجد الباحث في هذا الموقف ضرورة لإعادة قراءة رسل .

أولاً–موقف رسل من الأخلاق:–

لقد حركت الرغبة لدى رسل تغيير نظرته إلى العالم بالقدر الذي يؤكد من خلاله إن العالم يحتوي على معنى، وهذا ما دفعه أن يفكر بصورة متفائلة، ووجد في الأخلاق هذا الدافع القوي، وهذا يعني من بين ما يعني إنه أدرك إن مشكلة الإنسان هي مشكلة أخلاقية وليست رياضية، إذ أشار إلى "أن عظماء الناس عادة هم المشتغلين بالأخلاق، وبالرغم من القدسية التي خلعها الناس عليهم بعد مماتهم فإنهم عاشوا في نزاع مستمر مع مجتمعاتهم... لما كان لهم من أثر كبير في حياة الناس"[(1)] .

وليس من المستغرب أن يكون لرسل وهو من فلاسفة التحليل موقفاً من الأخلاق فهذا الموقف عبر عن العودة إلى دراستها مع الأخذ بنظر الأعتبار "إعادة النظر في الأحكام الأخلاقية المحددة لبعض الحالات التي لا تزال مثيرة للجدل"[(2)]، "فبعد انهيار هيكل القيم بقيام الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)[(3)]، وهو ما جعل فلاسفة

التحليل يختلفون في إمكان المعرفة الأخلاقية، بل ما هو أكثر من ذلك هل تعدّ الأخلاق موضوعاً قابلاً للمعرفة أم لا؟ وإجابة هذا السؤال تعد ركيزة لفهم موقف رسل من المعرفة الأخلاقية .

أ–العلم وحدود المعرفة الأخلاقية:–

إن نمو العلوم الطبيعية قد زاد في التقدم العلمي فسلب الدافع الروحي والأخلاقي لدى الإنسان وهذا ما دفع رسل أن يتساءل هل هناك ما يسمى بالمعرفة الأخلاقية أم لا؟[4] فعلى الرغم من أن رسل، قد كرس اهتماماً قليلاً نسبياً للنظرية الأخلاقية في بداية اهتماماته بها، إلا أنه عقد ادانات أخلاقية قوية جداً[5]، إذ يقول: "العرف الفلسفي عدّ الأخلاق جزءاً منه، ولذلك أضطر أن أبحثها في مجال الفلسفة وأما رأيي فهو أن تخرج الأخلاق من هذا المجال"[6]، "لأن الإنسان في معرفته للخير والشر ما هو إلا ذرة ضعيفة في عالم لا توجد فيه مثل هذه المعرفة"[7]، ويعلل رسل عدم إمكانية المعرفة الأخلاقية ذلك "أن العالم المؤلف من المادة لا يحتوي على الحق والباطل، فهو لا يحتوي على معتقدات وأحكام"[8] . هكذا تبدو القيم المطلقة، والمناهج العلمية غير ملائمة لها، فالعلم وحده لا يستطيع أن يبرهن من القبيح الاستمتاع بإنزال القسوة، وعلى الرغم من أن أي شيء يمكن معرفته بوساطة العلم، إلا أن الأشياء التي تختص بالشعور تقع خارج نطاقه[9]. وفي موضع آخر يشير إلى أن علماء الأخلاق قد أهتموا كثيراً في موضوع تهذيب النفس دون أن يعرفوا طبيعة النفس ذاتها[10]، لأن رجال الأخلاق يميلون إلى تجاهل مطالب الطبيعة البشرية، فإذا فعلوا ذلك فإنه من المحتمل أن تتجاهل الطبيعة البشرية مطالب رجال الأخلاق [11].

إن مشكلة الأخلاق من وجهة نظره المنطقية، ليست نوعاً معرفياً وهو ما جعله يعتقد إن مجالها إشكالي بدرجة كبيرة من حيث طبيعة موضوعاتها ومنهجية معرفتها، فالأخلاق ليست نوعاً من المعرفة الفلسفية، التي يستطيع الفيلسوف الكشف بالحدس عن المثل الأعلى بقدر ما يتم التعامل معها بوصفها اختصاصاً معيارياً، أما إذا تم التعامل مع

القضايا ذاتها من الفيلسوف العلمي فإنه سيسعى إلى ايضاح ما يكمن وراء تلك القضايا من جوانب منطقية ولغوية ونفسية واجتماعية .

ب-الأخلاق بين الأدراك والإنفعال:-

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن رأي رسل فيما يتعلق بامكانية المعرفة الأخلاقية، قد دفعه إلى التفكير بجدية أكثر بنظرية بديلة تسعى الى تفسير وتحليل السلوك البشري، وفي الوقت نفسه، تأخذ بنظر الاعتبار مطالب الطبيعة البشرية، وهذه النظرية اعتمدت على جانبين: الأول تحليل اللغة، وهذا ما يجعل منهجه التحليلي له دور في فهم وتحليل الجملة الأخلاقية، والثاني على علم النفس، "إذ أثارت النظرية الانفعالية انتباهه، حيث أحرز تقدماً بشكل ملحوظ في نظرية الرغبة"[12]، حتى أعلن في عام 1944م عن نظريته الانفعالية في الأخلاق[13]. ويعتقد رسل أن نيتشه يعد أول من أعاد إلى الانفعالات احترامها الفلسفي وهو يتعارض مع الأتجاه الأخلاقي الذي يربط الخير بالمعرفة والشر بالجهل[14] .

والنظرية الانفعالية عند رسل لها دلالة صارخة على أنه تعامل مع القضايا الأخلاقية من منطلقات لغوية، ومن هذا المنطلق اعتقد رسل أن قضاياها يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة، وهو موقف يتناقض مع الرأي الذي اشتهر به، إذ أصر على أن الأخلاق المعيارية ليست جزءاً من الفلسفة، إلا أن هذا الرأي لا يعبر عن حقيقة وجهة نظره فهذا النوع من الممارسات الفلسفية يعدّها علمية، فالأخلاق التي هي جزء من العلم هي جزء من الفلسفة، مثال على هذا الرأي يمكن أن يوجد في مقال (أخلاقيات الحرب)، إذ أشار فيه إلى أن القيم مبنية على الإنفعالات لا على الأفكار[15] .

وفي السياق نفسه، يشير رسل إلى أن ارتباط الأخلاق بالانفعالات يبدو جلياً، إذا تأملنا فكرة وجود عالم مكون من المادة غير الواعية وحدها، فمثل هذا العالم لن يكون خيراً ولا شراً، ولن يكون صواباً أو خطأ[16]، وما منع الفلاسفة أن ينظروا الى هذه الحقيقة إلا استعمال الطابع العقلي الذي أضفاه سقراط على الأخلاق، كما فعل الكثير

من سابقيه، في تشييد مذهب أخلاقي يُقلل من شأن الانفعالات[17]، ولذلك حدد رسل معنى العقل سائراً على خطى هيوم فقال: "لهذه الكلمة معنى واضحاً ومحدداً، فهي تعني اختيار الوسائل الصحيحة لغايات نُريد تحقيقها، وليست لها أية علاقة باختيار الغايات، والناس يجنحون إلى التبرير العقلي أكثر من اللازم، لأنهم يغالون في الدور الذي يستطيع العقل أن يؤديه، فدعاة العقلية يريدون من العقل أن يُملي الغايات كما يُملي الوسائل؟ إلا أن هناك عبارة لهيوم، أن العقل هو عبد للإنفعالات، ويجب أن يكون كذلك، وهي تعبر عن رأي يحظى بتأييد كامل من جانبي ومن جانب كل شخص يحاول أن يكون معقولاً، فالرغبات أو العواطف، أو الانفعالات ولك أن تختار الكلمة التي تشاؤها، هي الأسباب الممكنة للتصرف، والعقل ليس سبباً في التصرف لكنه المنظم له فحسب"[18] .

وخلاصة القول، إن أفضل وصف لموقف رسل الأخلاقي أنه موقف وضعي، وهناك ارتباط منطقي بين الوضعية والأخلاق إلا أن الوضعية قد اتخذت أشكالاً فلسفية عدة، منها:الوضعية الاجتماعية، والوضعية المنطقية، ورسل ببعض مواقفه يميل مرة إلى الأولى وأخرى الى الثانية، إلا أنه نفرد بموقف ثالث لا يمت بصلة الى الوضعيتين وهو (اللااجتماعي) وهو ما تسعى الدراسة للكشف عنه .

ثانياً- أسس الأخلاق عند رسل:-

اتخذت المذاهب الأخلاقية في الفلسفة صوراً شتى، ولازالت تتلوها صور، بعضها ينطلق من أن الإنسان اجتماعي بالطبع، وأخرى باتت تعتقد بأنه لا اجتماعي، وبين هذه وتلك تقف نزعة توفيقية، إلا أن النزعة الاجتماعية هي النزعة الغالبة، ويبدو أن سيادة هذه الصورة تعود إلى أن المجتمعات في بداية تأسيسها تعتمد على النزعة الاجتماعية في الإنسان، ولكن المجتمعات عندما تنمو شيئاً فشيئاً تبدأ النزعة اللااجتماعية في الظهور .

أ–الأساس الاجتماعي للأخلاق عند رسل :–

أراد أغلب الفلاسفة أن يقيدوا ويخففوا من سطوة المصلحة الذاتية عبر تأسيس مجتمعات اجتماعية قائمة على أساس مجموعة من المشاعر الأخلاقية، وبناءً على ما تقدم، يمكن القول إن الإنسان مدني بطبعه، وهذا لكونه يعيش في وسط اجتماعي حيث يتعّهده المجتمع بالتربية والتثقيف فينمي استعداداته الفطرية، ودوافعه النفسية، وملكاته العقلية، ولذلك فإن الفرد ينشأ وهو مدين للجماعة بكل شيء، وما عليه إلا الخضوع للجماعة، وما لها من نظم وعادات، وبهذه الكيفية يكون الفرد انعكاساً للمجتمع، فالحياة الجماعية هي البيئة الأولى التي نتربى فيها، والمناخ الذي تتطور فيه قيمنا وأحكامنا وسلوكياتنا، ومن هنا يمكننا طرح التساؤل عن دور المجتمع في انتاج القيم الأخلاقية .

ورسل وإن كان يتفق مع وجهة النظر القائلة بأن الإنسان مخلوق اجتماعي إلا أن هذه النزعة الاجتماعية ليست بالطبع كما يقول أغلب الفلاسفة والمفكرين فهو يعتقد "إن الانسان مخلوق اجتماعي لا بالغريزة، بل من احساس غامض إلى حد قد يزيد أو ينقص بالمصلحة الذاتية والجماعية"[19]. وقد حدد رسل هذا الاحساس الغامض بالذكاء، إذ يقول: "إن الإنسان مدين بنجاحه إلى أشياء بذاتها تميزه عن الحيوان، وهي الكلام والتعاون، ....فالإنسان ملئ بالنزعات والانفعالات التي عملت في مجموعها على مساعدته على البقاء، ولكن ذكاءه دله على أن الانفعالات كثيراً ما تكون من عوامل اخفاقه، وإن رغباته بالإمكان اشباعها بصورة أتم وإن سعادته تكون أكمل، إذا قيد نطاق بعض رغباته،...وكلما زاد التنظيم الاجتماعي بوساطة الذكاء زادت فوائد التعاون...، ولو أنه لم يكن هناك سوى الذكاء وحده، أو النزعة وحدها لما كان هناك مكان للأخلاق"[20] .

إن الهدف من التعاون هو تحقيق الخير، وهذا الهدف ليس بالإمكان أن يتحقق في عالم متغير إلا بالاعتماد على قوة الذكاء التي عدها وسيلة رئيسة لتحديد الوسائل لتحقيق تلك الغاية (الخير).

وبناءً على ما تقدم يعتقد رسل إن النظم الأخلاقية تتكون من قسمين مختلفين، هما: واجبات الإنسان نحو الجماعة التي ينتمي إليها، وواجباته فيما يتعلق بالأفراد والجماعات خارج جماعته، والأهم هي الأخلاق داخل الجماعة بقدر ما تسهم في التعاون الاجتماعي[21]. ومن هذا يؤكد بأن كل مجتمع يتميز بنظام من القيم الأخلاقية وهذا النظام يتجلى في سلوك الأفراد في حياتهم اليومية، فسلطة المجتمع بهذا المعنى قيمة متعالية .

ففي كل مجتمع توجد تصرفات يسمح بها وتصرفات ممنوعة، وعندما ينتمي الإنسان إلى مجتمع أكبر يتسع نطاق واجباته وأخطائه المحتملة، وتظل هناك مجموعة من القواعد يجب عليه اطاعتها وإلا قوبل باستهجان عام، وقد اختلفت القواعد الأخلاقية في الأزمنة المختلفة بشكل لا يكاد يصدق، وبالنظر إلى هذا الاختلاف لا يمكن القول إن تصرفات من نوع معين صواب وأخرى خطأ[22] .

ويعتقد بعضهم إن الرجل يجب أن يطيع القواعد الأخلاقية الخاصة بمجتمعه أياً كانت، ولا يمكن أن يُلام على ذلك، ولكنه في كثير من الأحيان يستحق الثناء لأنه لا يفعل، فأكل لحوم البشر كان في وقت من الأوقات متصلاً بالدين، وتلك العادة لم تختف من تلقاء نفسها، بل كان وراءها رواد أخلاقيون قالوا عنها إنها عادة شريرة[23] وإذا كانت مثل هذه العادات تعبر عن القوة فإن هذه القوة شر ورفضها يمثل القوة الحقيقية وفي تصميم الإنسان على حب الخير[24].

ومن الجدير بالذكر، إنه بالإمكان إن تقبل الجماعة نفسها نظامين أخلاقيين متعارضين في الوقت نفسه، وأبرز الأمثلة على ذلك هو ذلك التعارض بين الأخلاق المسيحية وقانون الشرف الذي تكون في عهد الفروسية وما زال قائماً إلى هذا الوقت، إذ يفرض على السادة أن يكونوا مستعدين دائماً للقتال في أية مبارزة انتقاماً لإهانة[25]، وهذا المفهوم أي —الشرف– إذا تحرر من العجرفة الارستقراطية، فيه شيء يساعد على المحافظة على استقامة الشخصية، ويعمل على تأكيد عامل الثقة المتبادلة في العلاقات

الاجتماعية[26]، لأن هذه العلاقات قائمة على أساس العقوبات والمكافئات، التي تحث على السلوك المرغوب فيه اجتماعياً، وليس تبعاً لمعيار مطلق مفروض من الاستحقاق[27].

وانطلاقاً من مبدأ الانتاج والتوزيع يعتقد رسل إن في الأخلاق قسمان، الأول، يُعنى بإنتاج القيم، والثاني يُعنى بتوزيعها، والنظم الأخلاقية تهتم بالتوزيع، والمجتمع الذي تكون فيه القيمة موزعة بالتساوي أفضل من أي مجتمع تكون فيه التوزيع غير متساو، والسبب في عدم المساواة في التوزيع يعود إلى وجود الحقد والحسد في نفوس البشر، إلا أن ذلك لا يحدث حيث يوجد نظام اجتماعي مستقر[28] .

والوعظ الأخلاقي لا يمكن أن يحقق النتيجة المرغوب فيها، بل بوساطة أنظمة اجتماعية ورأي عام يجعلان من مصلحة كل شخص، إن يتصرف على وفق ما يقتضيه الصالح العام والوسيلة الرئيسة لتحقيق ذلك هو الحب والتعاطف الذاتي والطموح المفيد[29]. قد يتصرف المرء على نحو يدعم للخير العام، لأن النظام الاجتماعي يجعل أفضل إشباع لرغباته الأنانية هو عن طريق تصرفات تفيد المجموع. ورسل لا يعتقد إنه بالإمكان تحقيق الانسجام التام بين المصالح الخاصة والعامة، وما يخشاه هو عدم إمكانية توفير هذا الانسجام، وحينها لا تجدي الحجج الأخلاقية نفعاً[30]، فإذا توفرت الأنظمة الأخلاقية المرغوب فيها اجتماعياً والفهم العلمي فيما يتعلق بتدريب الأخلاق الفردية، سيمكن أن نجعل التصادم الفردي والإشباع العام أمراً نادراً، وتحقيق هذه النتيجة يجب أن يكون الهدف الأسمى لأولئك الذين يحاولون خلق مجتمع بشري سعيد[31] .

وخلاصة القول ليس الإنسان كائنا أخلاقياً، إلا لأنه يعيش في صلب مجتمعات قائمة، وليس ثمة أخلاق من دون انضباط، والنفوذ العقلي الوحيد هو السلطة التي يتقلدها المجتمع في علاقته بأعضائه، وما يبين جيداً إلى أي حد يكون التنظيم الاجتماعي ضرورياً للأخلاق هو أن كل انخرام في التنظيم أو كل ميل إلى الفوضى السياسية مقترن بتنام في اللاأخلاقية، وحينما نعلم أن الأخلاق هي نتاج المجتمع وأنها تنفذ إلى الفرد من

الخارج وتمارس العنف، من بعض الوجوه، على طبيعته الفيزيائية وتكوينه الطبيعي، نفهم عندئذ، إن الأخلاق هي ما هو المجتمع، وإنها لا تكون قوية إلا بقدر ما يكون المجتمع منظماً .

وهذا الأمر ينطبق على المجتمعات الاجتماعية التي تجعل من الفرد عضواً منضوياً داخل المجتمع لا بوصفه فرداً خاضعاً لسلطة المجتمع أو الدولة، إنما بوصفه فرداً منتمياً لها ومحافظاً على استقلاليته وفرديته، ولكن إن كان العكس فهناك نزعة ستكون على استعداد للظهور هي تلك النزعة التي تنتظر الظروف المناسبة للظهور بما يبثه المجتمع من روافد النفوذ والسيطرة تلك هي النزعة اللااجتماعية.

ب– الأساس اللاجتماعي للأخلاق عند رسل أو النزعة اللااجتماعية بوصفها عقدا أخلاقياً جديداً:–

إن السؤال الذي يطرح الآن، ما الذي يدفع النزعة اللااجتماعية إلى الظهور ومن ممثلوها في الفلسفة؟ وللوقوف على هذه الأسئلة لابد من تحديد مفهوم اللااجتماعي ومعاكسته مع مفهوم آخر سائد في العلوم الاجتماعية وهو ضد المجتمع .

1–**اللااجتماعي في العلوم الاجتماعية**: يعني الفرد المضاد للمجتمع : "يستعمل للتدليل على ما هو غير مماثل لهذا الشكل من النظام الاجتماعي مقابل حرية الفرد"[(32)].

2– **اللااجتماعي في الفلسفة:** فانه يشير إلى موقف أخلاقي يتخذه بعض الفلاسفة، سواء أكان فكراً أم سلوكاً تجاه ما يعتقدونه في الواقع الاجتماعي، وهو بذلك يمثل نوعاً من أنواع انسحاب الفرد من الواقع، لأنه يدرك إن القواعد الأخلاقية التي تم تشريعها، قد بُنيت على أساس واه، ودليل ذلك ما يلاحظه من الاضطراب المتجذر في سلوك الأفراد بكل تجلياته أكثر من النظام، وما يعدهُ شرطاً ضرورياً للتواصل مع هذا الواقع، أو لخلق واقع أفضل، ولذلك اللااجتماعي لا يمثل في سلوكه أو في فكره انعزالاً تاماً عن الواقع وعدم امكانية التعامل معه، ومما تجدر الإشارة إليه إن النزعة اللااجتماعية هي شيء شبه

غريزي موجود في الطبيعة البشرية، وفي أحيان كثيرة لا تفرض على الإنسان من الخارج، بل هي قسمة متساوية بين جميع البشر، في حال توفر العوامل المساعدة، التي بدورها تكون بمثابة المحركات لهذه النزعة الانسانية، وتتمثل عند الإنسان في صور مختلفة، والدليل على ذلك إن هذه النزعة موجودة لدى كل إنسان فهي عند الإنسان العادي والمبدع على حد سواء، إلا أن هناك اختلافاً بسيطاً، وهو إن المبدع يسخرها لتحقيق هدف أسمى .

ومن هنا تمثل اللااجتماعية عقداً أخلاقياً جديداً يعقده الفرد (المبدع) مع طبيعته، إذ يلجأ إلى هذا العقد ليجدد ارتباطه وتواصله مع ذاته- من منطلق إن العيش في وفاقٍ مع الآخرين يبدأ بالعيش في وفاقٍ مع الذات- ومن ثم يطور العلاقة مع مجتمعه، وهذا يمثل إنجازاً كبيراً على مستوى الوعي الفردي شريطة ألا يظل محصوراً في حدوده بل يترجم إلى واقع ملموس على صعيد الممارسة .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن إعلان الفرد عن هذا العقد الأخلاقي الجديد مع التأكيد على الإصلاح واختيار المنهج الأنسب لإحداث نقلة في بناء شخصه، تتوازى مع طرح قضية هيمنة بعض المحركات لهذه النزعة، وهنا لابد من تأكيد قضية أساسية، وهي إن الفرد يدرك بأنه لا يستطيع تغيير مجتمعه، ولكن بالإمكان تغيير طريقة التعامل مع قضاياه المختلفة، ومنها الأخلاقية، ومن هنا الفرد اللااجتماعي هو الفرد الذي يؤثر العزلة، وهو مفهوم يختلف عن المفهوم الذي ورد في العلوم الاجتماعية.

وإن السبب الذي يدفع هذه الذات اللااجتماعية إلى ايثار العزلة والانفصال عن تشكيلات المجتمع بتمثيلات قواه المتعددة هو من أجل الكشف عن مكامن القوى الخلاقة الموجودة في الفرد، فتلك القوى التي سيطرت على الفرد، هي التي أتاحت لذات الفرد بوصفها ذاتاً فاعلة أن تعمل مستقلة بذاتها، وأن تكون أكثر قدرة وابداعاً، ومن هنا يتحقق هدف الفرد اللااجتماعي وهو (أصالة الذات) أي ذات أصيلة قادرة على الخلق والإبداع .

ثالثاً- نماذج من ممثلي النزعة اللااجتماعية في الفلسفة:-

"الانسان مدني بالطبع"[33] عبارة تنسب لأرسطو وتابعه العديد من الفلاسفة القدماء والمحدثين، إلا أنه بالإمكان رؤية وجهة نظر مغايرة لوجهة النظر هذه وتتمثل في نماذج من الفلسفة الإسلامية، فاللااجتماعية كمفهوم فلسفي كان حاضراً في الفلسفة الاسلامية، ولا سيما على صعيد الممارسة الفلسفية من حيث أنها تمثل كتابة دوَّن من خلالها الفلاسفة المسلمون مواقف من أسموهم بـ"المتوحدين" أو "النوابت" كما يحلو لكل فيلسوف أن يطلق عليهم، ومن ثمّ تكون الفلسفة كممارسة كتابية قد أشارت إلى هذا المفهوم، وإن اختلفت المفاهيم كما في مفهوم (اللااجتماعي)، وهذه الممارسة ترجع للإنسان قدرته بل حماسته الأخلاقية، فالاستغراق في التأمل وفقدان القدرة عن التوقف عن التفكير هو ما يفسح المجال للإنسان أن يساهم في التصويب الأخلاقي، وهذا أولاً، أما ثانياً لكي لا يكون رهين العقل الجمعي .

وفي الفلسفة الحديثة، اذ تتمثل بموقفين الأول عند هوبز، فهو يعتقد "إن لدى الإنسان ميل طبيعي إلى النفور من الإجتماع بغيره، وما نلحظه من ميول اجتماعية لدى الأفراد ترجع إلى الرغبة في تحقيق منفعة شخصية، وهكذا نجد أن الإنسان بفطرته الطبيعية ينفر من الاجتماع بالآخرين"[34]، وهكذا بدى الإنسان في مذهبه "غير مدني بالطبع"[35]. وهذا ما دفع هوبز إلى انتهاج فكرة التعاقد الاجتماعي بوصفها وسيلة للتوفيق بين المصلحة الفردية والصالح العام، فلم يخف عليه أنه في كثير من الأحيان هناك من مشاعر الإيثار، التي تحكمهم في التعامل مع الآخرين وهو ما يسهم في تقديم تفسير مقنع لصور العلاقات الاجتماعية وتقوية أواصرها .

ومع كانط، الذي كانت لديه وجهة نظر مماثلة في هذا المجال، إذ يعتقد " إن لدى الإنسان روحاً غير اجتماعية وهو استعداد موجود بوضوح في الطبيعة الإنسانية، لكن أيضاً لديه اجتماع، لأنه يشعر بنفسه أكثر إنسانية، وخاصية اللااجتماعية هي الرغبة في أن يوجد كل شئ على وفق اتجاهه الخاص، ولهذا يجد المقاومة من كل مكان، ولكن هذه النوازع اللااجتماعية على الرغم من أنها غير محمودة، وتنشأ عنها المقاومة، لكن لولاها

لبقيت كل المواهب كامنة، وإن هذه الروح اللااجتماعية هي التي أحوجت الإنسان إلى وضع القانون المدني" [36]. وهذا يعني إن كانط كان يعي إن تقييد المجتمع الاجتماعي بمجموعة من القوانين المدنية لتنظيم العلاقات البشرية أفضل طريق لها هو الكشف عن النزعات اللااجتماعية والشقاق الاجتماعي، فضلاً عن أنه كان على يقين تام من أن النزعة اللااجتماعية تساعد الإنسان على أن يدرك أصالة ذاته ومواطن الإبداع الكامنه فيها عندما ينفرد بها، فالعديد من الأشخاص لا ترهقهم هذه النزعة لأنها تنبثق من محاولة الإنسان لتنمية شخصيته بغض النظر عن حياة القطيع البشري، وهذا ما سيؤكد عليه رسل فيما بعد .

رابعاً–النزعة اللااجتماعية عند رسل:–

يعتقد رسل "إن الانسان أكثر تعقيداً في نزعاته من أي حيوان آخر وتنشأ الصعوبات، التي يواجهها من هذا التعقيد، فهو ليس اجتماعياً تماماً، مثل النمل والنحل، ولا هو انفرادي تماماً، مثل: النمور والأسود، إنما هو حيوان لا اجتماعي، إذ إن بعض رغباته اجتماعية وبعضها انفرادية، ويبدو الجانب الاجتماعي في طبيعته، وهذا الأمر يُلاحظ مع الحبس الانفرادي، الذي يُعتبر عقوبة بالغة الشدة، ويبدو الجانب الآخر في حبه للاستقلال في أموره الخاصة وعدم استعداده للحديث مع الغرباء"[37]، ويقول في موضع آخر: "إننا نفكر في الإنسان كفرد، إننا نعتبره كما كان يعتبر من البوذيين، والرواقيين، والقديسين المسيحيين، والمتصوفة، ليس اجتماعياً أساساً، فعوامل المعرفة في الفرد بوساطة الإرادة وممارسة السلطة على الفرد تجعله يصبح عضواً فعالاً في المجتمع[38]، إن الإنسان وإن كان اجتماعياً بالطبع إلا أنه انفرادي بالطبع كذلك[39]. وبالإمكان قراءة قول رسل السابق كما يأتي، إنه كان يعتقد إن المجتمعات تتقدم وتتدهور على وفق الطاقة الأخلاقية، التي يتمتع بها ذوو الفطر الفائقة، إلا أن هذه الطاقة تكون عديمة الفائدة والمعنى في الوقت نفسه، إذا لم تجد هناك إرادة حرة توجهها .

خامساً–مُحركات النزعة اللااجتماعية عند رسل :–

تقوم فلسفة الأخلاق على مجموعة من القواعد الأخلاقية، إلا أن هذه القواعد التي تعد بمثابة العمود الفقري لهذه الفلسفة أصبحت عرضة للنقد، مثل: مفاهيم واجب وينبغي، التي هي مفاهيم تشير إلى النظام والقوة والسيطرة في بعض الأحيان، وبالإمكان أخذ قواعد كانط مثالاً على ذلك، فتلك القواعد الثلاث كانت بمعنى ما تريد من الإنسان أن يكون سيداً على نفسه، فقواعد الإلزام التي حددها لم تكن من خارج الذات الإنسانية، إنما هي نتيجة المحكمة الداخلية، التي هي صوت ضمير الفرد الذي يتسق مع توجيه أفعال الإنسان بحركته، وهي مغايرة للأخلاق، التي قسم بها نيتشة الناس إلى سادة وعبيد، فالأولى أساسها الاحترام، أما الثانية فقائمة على أساس الحقد والصراع .

وفي كثير من الأحيان، إن الناس ليسوا قادة أنفسهم أو لا يستطيعون أن يديروا دفة هذه القيادة من الناحية الأخلاقية، وهذا ما يدفعهم إلى الأمتثال لأوامر ونواهي شرعها آخرون، وقد صبت في صيغ لغوية وجد فيها الفلاسفة ما هو مدعاة للنقد، وفي الوقت نفسه، محركة للنزعة اللااجتماعية كما نلحظ ذلك عند رسل .

أ–لغة الأخلاق الأمرية بوصفها محركةً للنزعة اللااجتماعية :–

شهدت الفلسفة انعطافاً في مسار دراستها لموضوعاتها في القرن العشرين، وكان ذلك تحت وطأة فلسفة اللغة، إذ تمكنت من فرض هيمنتها على الأنساق المعرفية الأخرى، وفي هذا السياق المعرفي لم تكن فلسفة الأخلاق بمعزل عن الإنعطافات اللغوية التي أحدثها فلاسفة اللغة، إذ تركت بصماتها الواضحة على النظرية الأخلاقية، فبعض الفلاسفة المعنيين باللغة منذ بداية القرن العشرين، قد انعطفوا يتأملون مفاهيم تلك النظريات، وطرحوا تساؤلات، مثلت الأسئلة المركزية في اللغة والأخلاق التحليلية المعاصرة على حد سواء .

وبناءً على ما تقدم اصطفى كل من: فتجنشتين، ورسل، وكارناب، وآير، وستيفنسون النشاط اللغوي بوصفه تحليلياً، وعدوه ميداناً جديداً لدراسة الأخلاق، وأسسوا أول نظرية في الأخلاق التحليلية أُطلق عليها (النظرية الإنفعالية)[40]، وهذه النظرية لا تسعى إلى تشريع قواعد أخلاقية بقدر سعيها إلى تحليل القواعد التي شرعها فلاسفة اخرون وهذا ما دفع رسل بعد أن طرح السؤال الآتي:هل هناك معرفة أخلاقية؟ أن يردفه بأسئلة أخرى، هل البيانات الأخلاقية تختلف عن البيانات الأخرى التي تقرر مسائل متعلقة بالوقائع؟ من حيث أن الأول يشمل تعبير يجب أو مرادفاته، فهل هذه التعبيرات تعد جزءاً من لغة الأخلاق أم هي تعبيرات يمكن تحديدها في صيغة رغبات، وإذا كان الأمر كذلك، فهل العلاقة بينها وبين من يستعمل هذه العبارات علاقة أساسية؟ أم إنها تشير إلى رغبات الجنس البشري بشكل عام؟[41]

وجد رسل الإجابة عن تلك الأسئلة من خلال النظرية الانفعالية، إذ حدد طبيعة مادة الأخلاق بالانفعالات، وهذه الانفعالات ليست مدركات حسية، فالحكم الأخلاقي لا يقرر حقيقة واقعة، بل أنه يقرر أملاً في شيء ما أو خوفاً منه، أو رغبة في شيء ما أو عزوفاً عنه، أو حباً لشيء ما أو كراهية له، وإن كان ذلك كله يحدث في صورة مقنعة. وينبغي أن يوضع مثل هذا الحكم في صيغة التمني أو الأمر لا في صورة عرض لحقائق معينة[42] .

يعتقد رسل إن مفهوم الواجب، كمفهوم لا وجود له، ولذلك يعتقد إن عبارة (يجب أن تفعل ذلك) تفسر (أني أحبذ أن تفعل ذلك)، وإن التظاهر بالموضوعية في العبارة الأولى هو محاولة للخداع، ويُقصد بها اضفاء صفة السلطة القانونية على الرغبات[43]، وبعبارة أخرى وجد أن الفلاسفة، قد حاولوا الباس القواعد الأخلاقية العقلانية لغةً مؤثرةً ولا معقولة، فالعبارة الأولى تتصل برغبات الفيلسوف الشخصية (الذهنية)، وبالإمكان دحضها عن طريق إبراز الدليل على أن هذا الفيلسوف ليست لديه الرغبة، التي ينسبها إلى نفسه[44]، فالفيلسوف يحتكم إلى مشاعره الخاصة، ويلجأ إلى استعمال الحيل

البلاغية القادرة على إثارة مشاعر الآخرين(45)، لذلك كانت الطريقة الوحيدة المرضية لدراسة المعاني، هو التعامل معها بخلفية المدرسة السلوكية(46)، وهنا يتمثل الجانب العملي للمعنى الإنفعالي، حتى يكون قابلاً للتطبيق، من ميل الكلمة الناشئ من تاريخ استعمال الكلمة لإنتاج ردود أفعال مؤثرة لدى الناس، وهذه الميول التي تُنتج ردود أفعال مؤثرة تتعلق بالكلمات بشكل عنيد جداً، إذ تكتسب الكلمات قوة، والمفاهيم الأخلاقية من هذا النوع من المعنى مثل الجمل الأمرية. وهذا ما قصده رسل بقوله: "إن الفيلسوف يستمد قوته من قوة المفاهيم الأخلاقية التي يستعملها ويفرض سيطرته على رغبات الأفراد وهو الذي يشرع ما ينبغي أن، ومن الواجب على الناس أن يفعلوا أشياءً معينة، ولكنهم في الواقع لا يرغبون لأدائها، متناسين بذلك مطالب الطبيعة البشرية، ولكن إذا تجاهل رجال الأخلاق ذلك، فإنه من المحتمل أن تتجاهل الطبيعة البشرية مطالب رجال الأخلاق"(47) .

وخلاصة القول إن رسل، قد عالج علاقة اللغة بالأخلاق معالجة نسقية متكاملة، وهذه المعالجة النسقية للغة الأخلاق تعد من الموضوعات المهمة لفلاسفة اللغة، فالكلمة بوصفها أداةً أولية من أدوات التواصل البشري، تعمل على بناء التفكير بناء صحيحاً من حيث بنية الجملة اللغوية التي ترد بها. وهو ما يجعله من أهم فلاسفة اللغة، الذين عنوا بلغة الأخلاق ولكن نجد ذلك متناثراً في كتاباته الفلسفية، واللغة الأمرية من أنواع اللغة التي وجد فيها محركاً للنزعة اللااجتماعية لدى الانسان، فمن خلال تحليله المنطقي واللغوي لبعض العبارات والمفاهيم الأخلاقية وجد أن الفيلسوف يستغل سلطة الكلمة والمعنى الآمر بوصفهما الهالة التي تحوم حولها فلسفته، والإنسان اللااجتماعي يجد فيها محركاً للتمرد عليها عندما يجد في تلك القواعد ثغرات لا تدفع الأفراد إلى الامتثال لها، وأول تلك الثغرات هو عدم امتثال للفيلسوف بوصفه مشرعاً لها، وقد تعرضت مثل تلك اللغة الإلزامية في الفلسفة الحديثة من بنثام حين صرح بأنه ينبغي أن ترفع كلمة ينبغي من القواميس الأخلاقية .

ب-السلطة السياسية بوصفها محركة للنزعة اللااجتماعية :-

حينما تناول رسل موضوع السلطة حدد أربعة مصادر للأخلاق أو ما أطلق عليها بالسلطة الرباعية وهي "السلطة البشرية، والسلطة الدينية، وهناك سلطة الحقيقة وسلطة الضمير"[48]، وكان يعني ضمناً بالسلطة البشرية بالسلطة السياسية، ولا غرابة في ذلك فالعلاقة بين الأخلاق والسياسة كانت من صلب الموضوعات التي ناقشها رسل في ثنايا كتبه وزاد على ذلك بأن أفرد لتلك العلاقة مؤلفا خاصاً وهو المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة .

ومن الجدير بالذكر، إن هذا المحور معني ببحث العلاقة بين الأخلاق والسياسة في فلسفته، وهما عمليان بطابعهما، ويهدفان إلى إستقراء السلوك الإنساني، إلا أن هذا لا يعني انتفاء المجال الكافي لبحث معاني التنظير الفكري. وقد ركز على بحث بعض القضايا الأخلاقية كونها تشكل جانباً مهما في دراسة الإنسان للوصول إلى فهم الخلفيات السياسية للمواقف الأخلاقية ومدى إسهام هذه المواقف في إيجاد أفراد ذوي ميول ابداعية مختلفة. والبحث، هنا، لا يعنى بتوطيد هذه العلاقة بقدر ما يُعنى بإبراز النواحي اللااجتماعية لها، وفي قراءة رسل دليل على ذلك، إذ أشار إلى وجود علاقة بين الجانبين، وذلك من خلال قوله: "هناك صلة وثيقة بين علم الأخلاق والسياسة"[49]، إذ إن ميدان السياسة في الواقع ميدان يصعب جداً فصله عن الأخلاق"[50]، وليس هذا وحسب، بل إنه ينظر إلى أن للأخلاق مصدران، إذ يرى: إنه خلال عصور التاريخ المدون قد كان للمعتقدات الخُلقية مصدران مختلفان فيما بينهما أشد الاختلاف، أحدهما سياسي، أما الآخر فمتصل بالعقائد الشخصية [51].

والسؤال الذي يثار هنا، إذا كانت السياسة لها علاقة بالأخلاق، بل أنها تمثل المصدر الأول من مصادر الأخلاق من وجهة نظر رسل، فكيف بالإمكان أن تكون هي المحرك للنزعة اللااجتماعية لدى الفرد؟ لقد أجاب رسل عن هذا السؤال في أكثر من موضع، إذ أشار في كتاب السلطة والفرد إلى الأثر السلبي لهيمنة السلطة السياسية على تفكير الفرد

ونشاطه من الناحية الخلقية[52]. وفي موقع آخر ذكر إن الإجابة عن هذا السؤال خطيرة جداً وتؤثر بشدة في أخلاقياتنا كلها، فعبادة القوة التي عودنا عليها كارليل ونيتشة وأرباب العقيدة العسكرتارية هي نتيجة الفشل في حفاظنا على المثل العليا في مواجهة عالم عدائي النزعة[53]، إذ أصبح سحق الفرد شيئاً حتمياً[54].

ومن خلال سعى الحكومات إلى تدمير الإبداع الفردي والسيطرة على عقول الناس بوساطة أجهزة مركزية للدعاية والتربية هي بعض الشرور، التي يبدو أنها تتزايد نتيجة لتأثير العلم على العقول، فالعلم الحديث والأساليب الفنية الحديثة زادت من قوة الحكام وجعلت في حيز الإمكان خلق مجتمعات على وفق خطة رجل آخر[55].

ففي الدول الدكتاتورية يعرض الشخص الذي يعتنق فكرة تعارض فكرة الدولة، نفسه وفكرته للخطر، ذلك أن هذا النوع من الدول لا يشجع ما يتنافى مع مصالحها، وعلى هذا فهي لا تنشر إلا مذهباً واحداً وتحث أفراد المجتمع كافة على الخضوع له[56]، والتنظيم النازي حاول وضع الناس في قوالب معينة على وفق أهواء الدولة، وكان التركيز السياسي محكماً لا يسمح للأفراد الخروج عنه إلا على الشكل الذي تريده الدولة نفسها[57]، ومع أن الدولة كثيراً ما تحاول حماية الفرد من الاعتداء، فإن محاولتها لحماية الفرد من اعتداء الدولة نفسها لمعدومة، فالدولة تعتدي على الفرد وتسيء له تحت ستار الدفاع عن حقوقه وامتيازاته[58].

تميل السلطة الحكومية إلى الحد من نشاط الفرد هذا من جهة، ومن جهة أخرى يصبح الفرد مستعداً لقبول ما تفرضه السلطة عليه من آراء في السياسة والأخلاق والاجتماع، وبذا يفقد الشخص ثقته بنفسه ويستسلم لقوى خارجه عنه تدفعه أنى تريد وتكون شدة هذا التأثير عند الأفراد الاعتياديين أكثر منها عند المثقفين[59].

إن ما تقدم يمثل تحديد رسل للسلطة السياسية بوصفها محركة للنزعة اللااجتماعية وبشكل مركز لدى الفرد، فالفرد هو المحور الأساس الذي تدور حوله فلسفته الأخلاقية والسياسية والتربوية، إذ حاول أن يخرج به من دائرة التمثيل وهي ظاهرة تسعى من خلالها

مؤسسات الدولة الهيمنة على الفرد لتحل الصورة التي تراها الدولة في صورة الفرد إلى دائرة التذويت ليؤكد على جاهزية الفرد مما يجعله مركزا للعالم .

وقد أكد على ذلك، إذ قال: "إن المجتمع المتقدم ما هو إلا عدد من الأفراد الشاعرين بمسؤولياتهم"[60]. فهناك أفراد في بعض المجتمعات يعملون بما هو مفيد لغيرهم، مثل ما فيها لأنفسهم، ولا يعود ذلك لأن القانون الأخلاقي يدعو إلى انكار الذات، بل لأن هذه الطريقة هي ما تمليه عليهم نزعاتهم في ظروف المجتمع الذي يعيشون فيه .

إن هؤلاء الأفراد اللااجتماعيون ينبتون في المجتمعات المتدهورة، ويمتلكون طاقة روحية وأخلاقية تساعدهم على تحمل أعباء المسؤولية الملقاة على عاتقهم وبإرادة حرة، وتكون أولى مهامها ضبط النفس وتقدير الذات والسيطرة على مشاكل المجتمع. ولذلك لا يمكن أن تكون الأخلاق اجتماعية تماماً، فمصادر الأخلاق الاجتماعية والفردية، بالإمكان تنميتهما بشكل يؤثر على الإنسان في المجتمع إلى حد كبير، وإذا تجاهلنا أي منهما فإن النظام الأخلاقي الذي ينتج سيبدو غير ملائم[61]، وهذا ما دفعه للقول إن الجانب الأنفرادي في طبيعة الانسان لا يقل قيمة من الجانب الاجتماعي، ويظهر الجانبان في الكتابات الدينية متصلين في وصيتي الإنجيل[62].

ولا يرجع رسل بروز النزعة اللااجتماعية إلى السياسة وحسب، إنما يلعب العامل الاقتصادي دوراً بارزاً في ذلك، "فالنظام الاقتصادي يمنع الأفراد من الإبداع، وهذا أحد الأسباب، التي تمتص حيوية السكان القطاعين المدني والصناعي، ويقودهم إلى الترحيب حتى بالحرب كمنفذ للرتابة الكئيبة التي تشوب حياتهم اليومية"[63] .

وعلى وفق رأي رسل، إذا أردنا أن نحكم على المجتمعات السياسية والاقتصادية فعلينا أن نحكم عليها بمقدار ما تسببه للأفراد من خير وشر، هل تشجع الابداع أكثر من التملك؟ وهل ترفع من روح الاحترام بين الانسان واخيه؟ هل تحافظ على احترامه لذاته؟[64] ويسترسل في بيان النقطة السابقة بأن يعطي أمثلة بل إنه يضع دور الأفراد الفاعليين في الماضي والعصر الحديث والمؤسسات السياسية، إذ يشير إلى وجود السلطة

اللامركزية في الحكم وفي إدارة الدولة، إذ يقول: "لقد كان لتأثير الفرد وفاعليته في المجتمعات القديمة أساس من نظام اللامركزية السائدة في النظم السياسية... إذ كان هناك تنافس بين الأفراد يدفعهم إلى التميز على نحو ما كان يجري في المدن اليونانية القديمة حيث كان لكل مدينة فنانها وفيلسوفها، لكن عالم اليوم هو عالم الأمبراطوريات التي يضيع فيها ارتباط الفرد بمجتمعه، ولم يعد عنصر المنافسة في العمل موجوداً بنفس الدرجة التي كان موجوداً بها حين كانت المنافسة والتشويق حافزاً للفرد على الإتقان والتميز لم يعد فنان مانشستر اليوم يشعر نحو فنان شفيلد، بما كان يشعر به الفنان الاثيني نحو الكورنثي أو الفلورنسي نحو الفنسي"[65]، وهذا يعني إن الانسان (العادي والمبدع) سيكونان على حد سواء عبارة عن عدد في مجتمع مغلق، إذ يخضع حياته للعيش تحت تأثيرات متشابهة، فينحل إلى نسخ متعددة ينتفي بينها التمايز، وإذا كان هناك اختلاف في الشكل فإن المضمون لا يتعدى أن يوحد ذلك الاختلاف. فالرجل ذو العقل العصري، على الرغم من اعتقاده بعمق في حكمة زمنه، لابد أن يحسب متواضعاً جداً بالنسبة لقواه الشخصية، فليست لديه الرغبة بأن يفكر بآراء أفضل مما يفكر جيرانه، وأن يقول أشياء تبين استبصاراً أعلى، وأن يكون لديه عواطف ليست كعواطف بعض الفئات الرائجة، بل كل ما يريده أن يكون متقدماً ولو قليلاً على أقرانه، وهو يحذف عن تعمد تام ما يراه فردياً في ذاته ليكسب اعجاب القطيع[66]. ولكن كيف يغيب عن الإنسان أنه "حتى وان اخضع نفسه للصالح العام، فإنه لن يشعر باكتفاء كامل وسيدرك إن جانباً من طبيعته يذوي، وهو جانباً يبدو هاما"[67]، يبدو إن ذلك ما جعله يعتقد إن الحياة الفاضلة هي التي تقوم فيها الدوافع الإبداعية بالدور الأكبر[68] .

وفي موضع آخر يشير إلى أن ما يعيق تحقيق ذلك هو إعاقة حرية الفرد من بعض البلاد التي تتمتع بقسط منها في الوقت الحاضر بتأثير الحرب أو الخوف من الحرب، أو كنتيجة تحققها الدول الشمولية، ولكي يكون للفرد دور في المجتمع يعتقد رسل إن المجتمع في تقدمه يكون بحاجة إلى بعض الأفراد الذين يخرجون عن الأنماط السلوكية العامة. فكل

تقدم سواء أكان أخلاقياً أو فنياً أو فكرياً يعتمد على هؤلاء الأفراد[69]، ولذلك يجب أن يتحرر الجانب الابداعي في كل فرد تحرراً مطلقاً من القيد كي يظل سليماً، كما أن وظيفة الدولة تجاه هذا الجانب من حياة الأفراد تنحصر في العمل على امدادهم بالفرص اللازمة[70]، وأن تجعل نموهم حراً وحيوياً بأن لا ترغمهم على النمو على وفق إنموذج إنسان آخر[71] .

سادساً–النزعة اللااجتماعية بوصفها محركة للإبداع الفردي:–

كان لبعض الفلاسفة اليوتوبيين وغيرهم نزعة اجتماعية بالإمكان أن نطلق عليها بالمتطرفة من منطلق إن الإنسان اجتماعي بالطبع، إذ رسم لهم مخيالهم اليوتوبي مجتمعاً فاضلاً يلتئم أفراده بعلاقات اجتماعية وقواعد أخلاقية قائمة على اساس الحب والوئام. والسؤال الذي يطرح هنا، هل تشريع القواعد الأخلاقية سيعود له ضرورة في ضل مجتمعات يوتوبية ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال بالإمكان الوصول إليها من خلال أحد عنوانات كتب رسل وهو "نحو مجتمع أفضل". أولاً وقبل كل شيء إن تأكيد رسل على أهمية الفرد الفاعل ودوره في بناء المجتمع دفعه لطرح هذا السؤال: هل بالإمكان أن ينشأ الفرد فاضلاً وأن يكون مرتبطاً بأقل ما يمكن من التلاحم الاجتماعي؟ وما دور النظام الأخلاقي في ذلك؟[72]، ويجيب رسل عن سؤاله: إن أي نظام أخلاقي لابد له أن يجعل الناس سعداء من ايجاد نقطة وسط بين قطبي الاندفاع والسيطرة، فالصراع الذي يحدث في أعماق الطبيعة الإنسانية هو الذي ينشئ الحاجة إلى الأخلاق[73]، لأن الحياة الانسانية لا يمكن أن تسمى حياة طيبة بغير المجهود والتجديد، فما نبغيه ليست اليوتوبيا أو ابداع مدينة فاضلة ولا في التفتيش عن نظرية سياسية تكون نافعة في أية لحظة، بل عالماً فيه الخيال والآمال حية متدفقة[74]، بيد أن تدفق هذه الحياة يعتمد على الإنسان، فالإنسان من وجهة نظره مؤلف من دوافع وهي بدورها تنقسم إلى قسمين: "واحدة تملكية، وأخرى ابداعية بنائية، والهيئات الاجتماعية هي الثياب التي تسبغ على هذه

الدوافع وفق الدوافع التي تتجسمها"[75]. يشير رسل إلى أن التعاون الذي يؤدي إلى وحدة الجماعة مبني على أساس غريزي في جميع المخلوقات الاجتماعية ومن ضمنها الإنسان وتتضح هذه الظاهرة كثيراً في النمل والنحل، غير أن ظاهرة التعاون عند هذه الحشرات لا تخلو من مساوئ، لأن النمل والنحل لا يهيئان الظروف اللازمة لأفرادهما للأبداع، أي أن حياتهما الاجتماعية ميكانيكية، وتسير دائماً على وتيرة واحدة، وعلى هذا فإننا نرغب في أن يكون في حياة الإنسان عنصر من عناصر الإبداع الفردي إذا ما رغبنا التخلص من الركود الاجتماعي[76] .

إن المجتمع السياسي الفاضل يشجع النشاط الإبداعي، لأن الأمن وحده يأتي بمجتمع هادئ راكد، فهو يتطلب الخلق والإنشاء اكمالاً له كي تمتلئ الحياة بروح المغامرة وحتى يتحرك المجتمع ويتقدم إلى الأمام نحو كل ما هو خير وأفضل، وخير المجتمعات هي المجتمعات الدافعة للمرء على التفكير[77] ويقيم رسل علاقة بين الدافع الخلقي وتحفيز المجتمع للفرد على التفكير المبدع، إذ يقول:" إن الدافع الخلقي أمر قد لازم كبار القادة الدينيين ومشاهير الفنانيين والمخترعيين والعلماء وساعدهم على التعبير عن دوافعهم الإبداعية والسمو بها[78]. وهؤلاء المبدعون هم الفضلاء، الذين يعيشون في مجتمعات تفتقر إلى الفضيلة، إذ يكون في هذه المجتمعات فرد أو فردان أو أكثر من الفاضلين بالإمكان أن نطلق عليهم (اللااجتماعيين) ووجود هؤلاء المتصوفة والشعراء والفنانون والعلماء، لما يدركون في أعماقهم إنهم انفراديون، وما يفعلونه مفيداً لغيرهم، ولكنهم في اللحظات التي يكونون فيها أكثر ما يكونون حياة، وأتم تحقيقاً لما يحسون إنه رسالتهم، لا يفكرون في بقية الجنس البشري بل يتابعون خيالاتهم[79] .

وكثيراً ما ينتج الفنان والمكتشف والعالم أموراً لها منافع اجتماعية، ولكن العوامل التي ساقتها إلى عملها إنما هي دوافع ذاتية تتعلق بقدراته الخاصة، فلا ينبغي تفضيل الدوافع الاجتماعية على الدوافع الفردية، إذ إن كل تقدم اجتماعي لا يتم إلا عن طريق الدوافع الفردية–وما أعمال الانبياء والمتصوفين والشعراء إلا أمثلة على ذلك، إذ إنهم بأعمالهم

الباهرة كانوا قد خالفوا الشائع من عقائد المجتمع، وفرضوا واجبات جديدة دفعوا بمجتمعاتهم إلى الأخذ بها، وتعرضوا إلى شتى أنواع الاعتداء، وهم بذلك قدموا للعالم مثلاً عُليا في الأخلاق والفن والدين[80]. بل إنهم قاوموا السلطة حينما طغت على استقلال الفرد وحريته وأدوا خدمة عظيمة للمجتمع، الذي عاشوا فيه مهما كان تقدير المجتمع لهذه الخدمة تافهاً، وإذا عدنا إلى الماضي تأكدنا من ذلك ولن يقل الأمر صواباً وحكمة إذا نظرنا إلى الحاضر والمستقبل[81]، فالتقدم البشري منذ بداية التاريخ تم على يد أفراد تعرض معظمهم لمعارضة هستريا الجماهير[82] .

إن كل تلك المقاومة والسعي لحل مشكلات عصرهم لم تمنعهم بأن يشعروا بالاغتراب في مجتمعاتهم لأن آرائهم تخالف ما هو سائد في المجتمع، فضلاً عن أنهم أقلية مبعثرة لا تمتلك فلسفة خاصة توحدهم، أما عن تلك العزلة فإنها لا تمثل شراً، إذا لم تكن العزلة حباً بالاعتزال نفسه، بل إذا كان الهدف منها هرباً من هيمنة السلطة بتمثيلاتها المختلفة فهو خير، لأنه سيعود بالنفع على نفسه ومن ثم على المجتمع لاحقاً .

والسؤال الذي يطرح الآن هل تستطيع المؤسسات بكل صورها أن تشجع الدوافع الابداعية لدى الأفراد؟ بمعنى آخر، هل يمكن للعمل الفردي أن يحقق البناء الأخلاقي للمجتمع، ويجيب رسل: ما نراه إن مجتمعاتنا التي نعيش فيها بعيدة بعد السماء عن الأرض عن كل ما ينبغي أن تكون عليه[83]، فسيطرة الدولة وعلى الأخص الدولة الشمولية يهدد مثل هذا الطموح، إذ يقول: "في الماضي كان المصلح الأخلاقي يستطيع أن يصبر على كثير من العنف في سبيل وصول صوته إلى مسامع الناس، وهذا ما فعله سقراط، إلا أن الدولة الشمولية تخمد أنفاس أية محاولة للإصلاح الخلقي وهي في المهد وهذا يعطينا فكرة عن مقدار الخطر الجسيم الذي يبدد الأمل في أي نوع من التقدم الأخلاقي في ظل الدولة الشمولية، ولهذا يكاد يتعذر على فرد مهما بلغت قدراته غير العادية أن يصل في أثره في مجال الاخلاق أو الفن ما وصل إليه المصلحون السابقون في العصور الماضية[84] .

لذلك نجد أن رسل وضع مجموعة من الأسس لإعادة البناء الاجتماعي، التي بدورها تساعد على تنمية الابداع، فكما إن الأخلاق مصدرها الأول مصدر سياسي، فإنه يلقي على عاتق الدولة واجباً أخلاقياً، فالدولة ينبغي أن تكون لها خلفيات أخلاقية لكي تستطيع إنشاء المجتمع الاجتماعي الأفضل . وتبدأ الخطوة الأولى بالتغيير الأهم والمطلوب في نوع الأخلاق، اذ يقول: "إذا نظرنا إلى التاريخ الانساني وجدنا أنه تطور في كل شيء، إلا في الجانب الأخلاقي، فالإنسان المعاصر أسير لأخلاقيات كان يخضع لها منذ زمن مضى، فبدلاً من أن يتبع أخلاق الأمل وهي الأخلاق، التي تدفع الإنسان لخلق الأعمال الطيبة، نجده يأخذ بأخلاق الخوف التي تجنبه ما هو سيء من الأعمال"[85]، وإذا أخذت النقطة السابقة مأخذاً جدياً فإن ذلك سيساعد على "وضع أخلاق الإبداع موضع أخلاق الخوف، أخلاق الاشياء التي يتوجب علينا القيام بها وليس الأشياء التي يجب الامتناع عنها"[86]، وهذا يتحقق من دور المؤسسات التي تتجسد فيها كل من الدوافع الاستملاكية والدوافع الإبداعية، "فالمؤسسات التي تتجسد فيها الدوافع الاستملاكية هي الدولة والحرب والملكية الخاصة، ومن المفترض بالتربية والزواج والدين أن تجسد الدوافع الابداعية، وهي تفعل ذلك ولكن على شكل ردئ تماما، فمن الواجب أن يكون اطلاق العنان للدوافع الابداعية أساس الاصلاح في السياسة والاقتصاد[87] .

ومن هنا يأتي دور الهيئات السياسية الحسنة ففي سعيها إلى تحقيق تلك المطالب، ينبغي عليها أن :

1-تؤسس تعليم يعمل على تقوية الدوافع الابداعية وزيادة الفرص للتعبير عنها[88].

وعلى الرغم من ايمانه بأن كبار العلماء في الماضي لم يعتمدوا على المنظمات بل قاموا بأعمالهم وأدوا مهامهم كأفراد مثل: كوبر نيك، وغاليلو، ونيوتن، وداروين[89]. وإن غاية التعليم ألا نجعل من الأفراد يفكرون بطريقة واحدة، بل تجعل كلا منهم يفكر بطريقته التي يعبر من خلالها تعبيراً كاملاً عن شخصيته[90] .

2-تقليل الفرص للدوافع التملكية، وتوزيع القوة في المجال السياسي والاقتصادي، إذ إن ذلك سيقلل من النزعة الدكتاتورية(91)، ويعلل رسل السبب وراء دعوته الى تقليل فرص الدوافع الاستملاكية، لأن الحياة المبنية عليها–اي الاستملاكية– هي حياة دنيا(92).

ومما تجدر الاشارة إليه على الرغم من أن رسل، قد ألقى على عاتق الدولة مسؤولية تحقيق هذه المطالب إلا أنه يعود مرة أخرى ويحمل الأفراد هذه المسؤولية، إذ يقول : "قليل من الأفراد الذين ينجحون في تغليب فضائلهم الابداعية على غرائزهم التملكية في عالم مبني على المنافسة، عالم أغلبيته العظمى معرضة للحرمان لو أنها لم تنشط في تحصيل الخيرات المادية، عالم ينظر بعين الإحترام والتبجيل للثروة بدلاً من الحكمة، وفي مثل هذه البيئة نجد حتى أولئك الذين وهبتهم الطبيعة دوافع الخلق والإبداع الكريمة قد تأثروا بسم المنافسة القاتل(93). وهنا جعل من الأفراد والدولة ثنائيان يفترض أحدهما الآخر في تنمية الدوافع الإبداعية وتلبية تلك الشروط .

والأخلاقيون يبذلون في سبيل تحقيق هذه الغاية جهوداً أخلاقية كبيرة ويظهرون قوة مدهشة في الدعوة للضغط على النفس، ولكن كل جهودهم وسيطرتهم على النفس لكونها لا تستعمل في سبيل أي مقصد ابداعي، تخدم لتجفيف منبع الحياة في داخلهم وتجعلهم ضعفاء بلا أمل ولا معنى، وفي تربة كهذه لا يجد العباقرة الميل للإنتاج(94)، وإذا أردنا أن تتاح الفرصة للأفراد لكي يستغلوا مواهبهم الإبداعية، فيجب تحريرهم من الحاجة المادية، كما يجب أن يكون لهم نصيب من القوة بحيث يمكنهم أن يدلو بدلوهم في تيار الحياة التي يحيونها(95). وهذا ما يجعل العلماء من أسعد الناس الأذكياء في العالم الحديث طالما إن نشاطهم الابداعي يهيئ اكتفاءً تاماً للعقل والروح والخلق والغريزة، وربما يمكننا أن نجد في سعادتهم وميض السعادة التي ستشرق على حياة البشرية في المستقبل(96)، من منطلق إن للحياة وجهان: وجه يتحكم فيه المجتمع، ووجه يتحكم فيه الفرد، والوجه الذي يتحكم فيه الفرد أهم الوجهين في حياة العظماء والعباقرة والمفكرين، وعلينا أن نعمل ما في وسعنا على ان نجعله قويا على قدر الامكان(97) .

وخلاصة ما تقدم، إن دور اللااجتماعي في المجتمع يتمثل في أثره الواضح في النمو الأخلاقي الذي يجب أن يتجسد في مجالات الحياة كافة، إلا أن حدة مشكلته تتضح وتزداد عندما لا تتوفر البيئة الابداعية له من خلال :-

1- سيطرة النظم السياسية الشمولية على عقول الناس بتوظيف التربية والتعليم لتحقيق ذلك.

2- سيطرة قوى الاقتصاد على نشاط البحوث العلمية والأنشطة الابداعية كافة.

ومما تجدر الاشارة إليه لا تخلو بعض الأهواء العدوانية من بعض العلماء إن لم تخضع للضوابط الأخلاقية وهو ما يعيق بناء المجتمع الفاضل أو (مجتمع المعرفة) وهو المجتمع الذي تؤدي به المعرفة الدور الأكبر من خلال فسح المجال للافراد المبدعين .

الخاتمة :-

لقد ارتبط اسم رسل بالمنهج التحليلي، ذلك لأن آراءه أضحت معلماً من معالم هذا المنهج، وهو فيلسوف ناقد ومفكر متنوع الجوانب، وتميزت أغلب أعماله بالتنوع الشديد في أغلب ميادين الفلسفة منها اللغة، والدين، والسياسة، والأخلاق، وإن نصوصه الفلسفية بقدر ما تحويه من دقة ووضوح، وهي سمة من أهم سمات المنهج الآنف الذكر، إلا أن تلك السمات ضاعت بين ثنايا الاسهاب الذي اعتاد رسل أن يضمنه في كتاباته، وعلى القارئ أن يقرأها بأناة، وبالدقة التي كتب بها رسل فلسفته، لعل ذلك يحقق فهماً فلسفياً، أو يجعل الوصول إلى إجابات تميل أن تكون قريبة من الصحة أمراً ممكناً، فكان من نتائج تلك القراءة المتأنية :-

1-إن رسل جعل من الجانب الاجتماعي والجانب اللااجتماعي، حدين متقابلين يفترض أحدهما الآخر وهي من أهم الموضوعات التي انشغل بها، وهذا ما جعل الأخلاق أن لا تكون بصورة واحدة، لذلك على القارئ أن يجمع بين تلك الصورتين ليتسنى له فهم

موقفه الأخلاقي، وبالإمكان القول إنه كان ناقداً للعقل الأخلاقي الغربي، ونقده لم يكن لذاته بل من أجل بناء مجتمع عالمي أفضل .

2- من أهم تلك النقود التي وجهها رسل، هو نظرته الثاقبة إلى الطبيعة البشرية، فهذه الطبيعة ليست ذات بعداً واحداً، إنما ثنائية الأبعاد، إذ تتألف من الجانبين الآنفين الذكر، فالجانب الأول يحتم على وجود التفاعل والاحتكاك وعلى ضرورة توفر وسيلة لتنظيمه لا يمكن فصلها عن الإنسان لأنها ظاهرة مرتبطة به كونه كائناً ناطقاً أولاً وأخلاقياً ثانياً، أما الجانب الثاني فانه يعبر عن وجود اشكالية في التواصل داخل المجتمع بوصفه الركيزة الأساسية في عملية التواصل، وكلا الجانبين مغروسان بالفطرة، ويعملان على تشكيل ذات الفرد ولا يمكن التغاضي عن دور المجتمع في تنميتهما .

3-إن الذات اللااجتماعية، التي يتجسد جدواها بالإبداع الفردي، وهذا الابداع ليس بالإمكان —في أغلب الأحيان- أن يتحقق لولا وجود معنى أخلاقي للحياة، وهذا المعنى ينطلق من هدف فهم الذات، فالتفكير بها يجعلها أكثر وضوحاً امام الفرد، إلا أن التربية والتعليم غالبا ما يضعان الحواجز بين الذات وسعيها للإدراك، وهذا يحدث في المجتمعات الصاخبة التي لا تعطي برهة للتأمل حتى يصل الناس إلى مرحلة فقدان شعورهم بوجود ذواتهم .

4-اذن بالإمكان القول إنه سعى إلى إنقاذ النزعة الفردية من الغرق في بحر المادية، فالفرد -وليست الفردية- مثل الثيمه الرئيسة لفلسفته، بل كان المدار الذي يدور حوله في السياسة والأخلاق. وبنظرة فاحصة لتكون وتشكل وتحول المجتمعات نجد أن كل ذلك في ماهيته أخلاقياً، وربما ذلك يثير استغراب من يعتقد إن الهدف من ذلك سياسياً واقتصادياً، وعلى الرغم من أن تلك العوامل قد تؤدي دوراً، فإن ذلك الدور يتضح في مراحل أخرى تتبع مرحلة تكون المجتمعات. وهذا يعني ان هناك شبكة من العوامل تتآزر فيما بينها تعمل على تكون المجتمعات والافراد على حد سواء .

5-إن الأخلاق هو موضوع الأنسان بل إنه موضوع كل ساعة يلتقي فيه مستوى الفكر، والواقع، بين الفلسفة متمثلة بالأخلاق، وبين الواقع بميادينه المختلفة كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والاعلام...ألخ، وليس الهدف معالجة المعايير الأخلاقية وحسب، بل تعدت إلى العلمية أيضاً، أي أخلاقيات التعلم والتعليم والبحث العلمي وما بات يطلق عليه اليوم (أخلاقيات المهنة)، فالتربية الأخلاقية وإن كانت تركز في بادئ الأمر على السلوك الإنساني الاجتماعي، إلا أن هذا السلوك يحمل أبعاد متعددة كان منها السلوك العلمي، فالممارسة العلمية لها قيمها التي تضع الفرد في دور أخلاقي جديد ربما يتسق أو لا يتسق مع منظومة القيم التي نشأ عليها .

6-إن جوهر قراءة رسل لنصوص الأخلاقيين، حول قواعد الأخلاق إلى مجموعة قضايا يمكن تحليل بنيتها اللغوية مستعيناً بطرح فلسفة اللغة حول دراسة الدال والمدلول. وقد أكد رسل إن هذه القضايا وما تحويه من مفاهيم أخلاقية عبارة عن لغة انفعالية متجسدة بقالب الأوامر تشير إلى انفعال مشرعها، إلا أنها لا تعبر عن تطلعات المجتمع الأخلاقي، يضفي عليها المنطق العقلانية هروباً من اعتراف المشرع بأن الإنفعال هو الدافع لهذا التشريع .

7-وبناءً على ما تقدم، لا يريد رسل أن تكون الأخلاق ضغطاً أو نسقاً من الأوامر تمليها الضرورة المنطقية أو الضرورة الاجتماعية اللاشخصية، إلا أن ذلك لا يعني اغفاله بعد تمثل الفرد لقيم المجتمع إن كانت تعبر وتتسق مع تطلعات الفرد، وإن كانت أيضاً تأخذ بنظر الاعتبار امكانيات الفرد للإبداع .

8-مثلت هذه الدراسة في جانب من جوانبها قراءة فلسفية لنصوص رسل، وحاولت تقديم تشخيص لـ اللامقروء من فلسفة رسل واللامكتوب في فلسفته أيضاً، ومن هنا لم تبد فلسفته وكأنها كتاب مفتوح أعطت للقارئ ما تهدف إليه بصورة واضحة، فالقارئ لا يتمكن من فهم أسرار النص، إلا مع توالي الأزمان .

9-وضع اللااجتماعي القواعد الأخلاقية محل الاختبار، إذ وجد إنها تحتاج إلى تدبر، والحكم عليها، قبل الأخذ بها بوصفها مسلمات أساسية في فلسفة الأخلاق، وتطبيقها في الواقع العملي، هو ما يلزم المشرع تقديم تلك القواعد مشفوعة بالتفسير والتوضيح والتحليل، وهذا ما يجعل الأخلاق التي يسعى إليها اللااجتماعي صعبة جدا لإدراك الانسان العادي .

10-حدد رسل مظاهر اللااجتماعي بالفرد بشكل مركز، ذلك إن الفرد هو المحور الذي تدور حوله فلسفته سعياً منه للخروج به من دائرة التمثيل، وهي دائرة المؤسسات التي تسعى الدولة من خلالها السيطرة على الفرد، لتكون الصورة التي تراها الدولة في صورة الفرد، إلا أن رسل كان يسير باتجاه معاكس، إذ سعى إلى تذويت الفرد ليؤكد على جاهزيته ما يجعله مركزاً للعالم .

الهوامش :-

1-رسل، برتراند، السلطة والفرد، ترجمة شاهر محمود، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1961، ص54 .

2-Kagan, Shelly, Normative Ethics, West view Press, USA, 1988, p.2.

3- راسل، برتراند، حكمة الغرب (الفلسفة الحديثة والمعاصرة)، الجزء الثاني، ترجمة فؤاد زكريا، ص214 .

4- راسل، برتراند، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة أحمد عبد الكريم، مراجعة حسن حمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص18 .

5-Ayer, A. J., Russell, The Woburn Press , London, 1974, p.116.

6-رسل، برتراند، الفلسفة بنظرة علمية، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، 1960، ص187. وبرتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، ص 497 .

7- رسل، برتراند، عبادة الانسان الحر، ترجمة محمد قدري، مراجعة الهامي جلال عمارة، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2005، ص 12 .

8- رسل، برتراند، مشاكل الفلسفة، ترجمة عبد العزيز البسام، ومحمود ابراهيم احمد، مطبعة الشعب، 1947، ص106 .

9- رسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الثالث، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ص 497-498 .

10- رسل، السلطة والفرد، ص106 .

11- رسل، المجتمع البشري، ص11 .

12-Potter, Michael, M, Bertrand Russell's Ethics, Continuum, UK, 2006, p. 1 .
13-Carey, Rosalind,& John Ongley, Historical Dictionary of Bertrand Russell's Philosophy, USA, 2009, p. 66 .
14-ينظر: رسل، حكمة الغرب، ج2، ص194 .
15-Carey, Rosalind,& John Ongley, Historical Dictionary of Bertrand Russell's Philosophy, USA, 2009, P. 65 .
16-ينظر: رسل، المجتمع البشري، ص 17 .
17- المصدر نفسه، ص4 .
18-المصدر نفسه، ص26 .
19-المصدر نفسه، ص9 .
20- المصدر نفسه، ص27 .
21-المصدر نفسه، ص29 .
22-المصدر نفسه، ص30 .
23-رسل، عبادة الانسان الحر، ص12 .
24- رسل، المجتمع البشري، ص32 .
25- المصدر نفسه، ص33 .
26- المصدر نفسه، ص34 .
27- المصدر نفسه، ص92 .
28- المصدر نفسه، ص118 .
29- المصدر نفسه، ص118 .
30- المصدر نفسه، ص131 .
31-المصدر نفسه، ص133 .
32- لالاند، آندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، ترجمة خليل أحمد خليل، عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، الجزء الأول،2001، ص78 .
33- طاليس، ارسطو، السياسة، ترجمة لطفي السيد، دار الكتب المصرية، 1947، ص9 .
34- هوبز، توماس، اللفياثان الاصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة وتقديم رضوان السيد، الفارابي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2011، ص
35- المصدر نفسه، ص
36-كانت، امانوئيل، نظرة في التاريخ العام بالمعنى العالمي، بحث منشور ضمن كتاب النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، 1981، الطبعة الرابعة، ص285-290 .
37- رسل، المجتمع البشري، ص10 .
38- رسل، التربية والنظام الاجتماعي، ترجمة سمير عبدة، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ص13 .

39- رسل، السلطة والفرد، ص96 .

40-كان للانفعالات حضوراً في البحث الفلسفي، إلا أن تبلور الانفعالات كنظرية مستقلة سواء أكان في مجال اللغة أم في مجال الأخلاق لم يتحقق إلا مع الفلسفة المعاصرة، ففلاسفة التحليل اللغوي في معالجتهم لقضايا الاخلاق والجمال وحتى السياسة، لم يختلفوا عن الفلاسفة السابقين عليهم أو عن المعاصرين لهم، غلا من خلال تركيزهم على اللغة الانفعالية ودورها في تشكيل الاحكام الاخلاقية وتحليلها تحليلاً سيموطيقياً .

41- رسل، المجتمع البشري، ص98 .

42-Russell, Bertrand, The Basic Writings of Bertrand Russell, Edited by Robert E. Egner and Lester E. Denonn With an introduction by John G. Slater, First published in Routledge Classics, 2009, p. 79 .

43- رسل، المجتمع البشري، ص17 .

44- رسل، برتراندرسل، الدين والعلم، ترجمة رمسيس عوض، دار الهلال، ص230 .

45-ينظر: المجتمع البشري، ص 63 .

46- رسل،الدين والعلم، 237 .

47- رسل، المجتمع البشري، ص11 .

48- المصدر نفسه، ص107 .

49- رسل، العلم والدين، ص233 .

50- رسل، المجتمع البشري ص19 .

51- المصدر نفسه، ص

52- رسل، السلطة والفرد، ص22 .

53- رسل، عبادة الانسان الحر، ص12 .

54- رسل، أسس لاعادة البناء الاجتماعي، ترجمة ابراهيم يوسف النجار، الطبعة الاولى، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 1987، ص26 .

55- رسل، المجتمع البشري، ص14 .

56- رسل، السلطة والفرد، ص55 .

57- المصدر نفسه، ص63 .

58- المصدر نفسه، ص82 .

59- المصدر نفسه، ص102 .

60- المصدر نفسه، ص103 .

61- رسل، المجتمع البشري، ص28 .

62- المصدر نفسه، ص10 .

63- رسل، اسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص113 .

64- رسل، مثل عليا سياسية، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز، المؤسسة المصرية للنشر والتوزيع،، ص7 .

65- مطر، أميرة حلمي، دفاع عن المرأة الجديدة، بحث منشور في مجلة الفكر المعاصر، المؤسسة المصرية للنشر والتوزيع، 1967، ص90.

66- رسل، بحوث غير مألوفة، ترجمة سمير عبدة، دار التكوين، دمشق، 2009، ص .

67- المجتمع البشري، ص10 .

68- رسل، مثل عليا سياسية، ص5 .

69- عوض، رمسيس، برتراندرسل الانسان، المؤسسة المصرية للنشر والتوزيع، ص190 .

70- رسل، مثل، ص53 .

71- رسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص24 .

72- رسل، التربية والنظام الاجتماعي، ص225 .

73- رسل، المجتمع البشري، ص9 .

74- رسل، مثل عليا سياسية، ص10. و رسل، اسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص183 .

75- رسل، مثل عليا سياسية، ص51 .

76- رسل، السلطة والفرد، ص22 .

77- رسل، مثل عليا سياسية، ص10 .

78- رسل، السلطة والفرد، ص97 .

79- رسل، المجتمع البشري، ص10 .

80- رسل، السلطة والفرد،ص98 .

81- رسل، مثل عليا سياسية، ص54 .

82-رسل، برتراند، محاورات رسل، ترجمة محمد عبدالله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1961، ص48 .

83- رسل، مثل عليا سياسية، ص7 .

84- عوض، رمسيس، برتراندرسل الإنسان، المؤسسة المصرية للنشر، ص191 .

85- رسل، برتراند، آمال جديدة في عالم متغير، ترجمة عبد الكريم احمد، دار سعد، مصر، ص179-180 .

86- رسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص166 .

87- المصدر نفسه، ص10 .

88- رسل، مثل، ص14 .

89- رسل، محاورات رسل، ص43 .

90-رسل، مثل، ص53 .

91- رسل، مثل، ص14 .

92- رسل، أسس، ص10 .

93- رسل، مثل، ص8 .

94- المصدر نفسه، ص8

95- رسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ص61 .

96- المصدر نفسه، ص172 .

97- رسل، مثل، ص53 .